القيم الاجتماعية في شعر الأطفال

سهيل. بي.ك
أستاذ مساعد في العربية، قسم الماجستير للعربية وآدابها،
الكلية الحكومية، كاسركوت، كيرلا، الهند

مقدمة

الإنسان حيوان اجتماعيّ. والالتزام بالقيم الاجتماعية ضروري للحياة السليمة. وبما أنّ الثقافة هي التي تمنح الإنسان إنسانيته، فلا بدّ أن تبدأ بالطفل حتى يصير إنسانا يدب في العالم الواقع لأنّ الأطفال هم رجال الغد ، وعلى عاتقهم مستقبل العالم.ولذا يعتبر تثقيف الطفل من أهم أهداف كتابةالشعر للطفل. منذ أن اهتم الأدباء والكتاب بشبع حوائج الأطفال الأدبية والذوقية ظهرت في الأدب العربي أعمال كثيرة تلتزم بإرشاد الأطفال وتوجيهم إلى القيم والأخلاق.

شعر الأطفال لون أدبي ازدهر في القرن العشرين،يمتاز بأنه شعر يستطيع الأطفال أن يتذوقوه وأن يحسوا به عند الاستماع أوالإنشاد أو القراءة.وهو يزود عديدا من الخبرات والتجارب يستفيد منها الأطفال.يقول الدكتور محمد السيد حلاوة:»جاء الشعر العربي الموجه للأطفال على شكل أغاني ترفيهية ومقاطع شعرية مرتجلة كلها،ومن المقاطع الصغيرة التي لم تبلغ أكثر القصائد أبياتا عشرة أبيات فقط،تخلو من الصناعة اللفظية،كما تخلو من المبالغة في الخيال والإغراق في المعاني، فهي أشعار قريبة المعاني بسيطة الخيال ميسورة الألفاظ سهلة التراكيب جميلة اللحن والنغم،حسنة الأداء». [١]

أهمية تثقيف الطفل

الثقافة تبدأ بالطفل، وإذا لم نحرص على تثقيف الطفل يصعب علينا تثقيفه وهو كبير.ولها أثر كبير في أوجه النمو المختلفة كالعقلي واللغوي والانفعالي والجسمي والاجتماعي.

تهتم الدول والحكومات والباحثون والعلماء بثقافة الطفل التي لها الأثر البالغ في نموه ، والتي لها دور هامّ في شخصيته.وهذه الشخصية لا تتشكل مع الولادة، بل يتم اكتسابها بالتعامل والاتصال بالبيئة وبفضل ما يقبله من مجمل عناصر الثقافة.» فالطفل من خلال أطوار طفولته يكتسب أنماط السلوك المختلفة السائدة في المجتمع ،لذا فإنّه لو عزل عن الثقافة لاتّبع سلوكا مختلفا يمكن أن يوصف بأنّه ساذج وبدائي، هذا السلوك يخضع في الغالب للمعاييرالثقافية التي ارتضاها المجتمع،وأصبحت قوانين تحكم سلوك أفراده ،هذا بالإضافة إلى أنّ الثقافة تزود الطفل بأنماط سلوكية جديدة يستطيع من خلالها مواجهة المواقف التي يتعرض لها في حياته اليومية» [٢].

وإذا أمعن النظر إلى شعر الأطفال من النواحي الثقافية يتبين أنه يشتمل معلومات وحقائق عن الحياة والناس والمجتمع.ومن النواحي الأخلاقية أنه يبصّر الطفل بالقيم السلوكية الحميدة ويغريهم بالصفات الطيبة.ومن النواحي الاجتماعية يساعد الطفل على الاندماج في المجتمع والتعامل مع الأفراد كما يعرّف القيم الاجتماعية،ويساعد أيضا على انفتاح فاعلية الطفل ضمن فعاليات المجتمع الذي ينمو فيه.

الطفل والشعر

الأطفال ميالون إلى الشعر، ولديهم استعداد أصيل له، يتذوقون الشعرمنذ الطفولة الأولى ويفرحون للموسيقى والنغم. طابع الوجدان والانفعال هو السبب في ارتباط الشعر بالتذوق أكثرمن غيره من فنون الأطفال.والأطباء ينصحون الأمهات باستماع الأغاني والأنغام والموسيقى البسيطة أثناء الحمل.» فالشعربالنسبة للأطفال ليس هو الوردة ومنظرها،ولكنه الشعور برائحة الوردة ،فالشعر الجميل يمكن أن يثري خبرات الطفل، ويزيد من تجربته كما يمكن أن يلقي الضوء على الأحداث اليومية والعادية أو يعمقها،ويتناولها بطريقة جديدة لم يفكر فيها الطفل من قبل،فالشعر يظهر الحياة في أبعاد جديدة» [٣]

يشاطر شعرالأطفال في تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة بحيث تنمو الجوانب الوجدانية والمشاعر والأحاسيس لديهم وتشبع حاجاتهم النفسية المتعددة. فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات، كما يمدهم بالألفاظ و التراكيب التي تنمي ثروتهم اللغوية ،فيقتدرون على استخدام اللغة استخداما سليما. يتميز شعر الأطفال بنغم

يستميل السمع ويطرب النفس، فيستثير الوجدان. وللوزن والقافية أثر فعّال في إحداث تأثير الأطفال الوجداني. والموسيقى لها تأثير السحر في آذان الأطفال، وكثيرا ما نرى الأطفال الصغار في مرحلة ما قبل المدرسة يرددون الكلمات المنغمة من الشعر حتى قبل أن يفهموا معناها، وأحيانا أخرى يستبدلون كلمات بأخرى لها نفس الوزن حتى وإن لم يكن لها نفس المعنى ، وهذا دليل على حبهم للنغم وحفظهم للكلمات المنغمة.

الأهداف التربوية والاجتماعية لشعر الأطفال.

شعر الأطفال الجيد هو الذي يمزج الخبرات ويربط بين تجربة الشاعر والأطفال ، وهو لذلك يربط بين عواطف الأطفال وأفكارهم ويثير فيهم ما يتضمنه من صور شعورية وانطباعات فنية واستجابات عاطفية. يجب أن تكون لغته شاعرية ، وموضوعه ذا هدف وموجه للأطفال. ولا مكان في شعر الأطفال للمثيرات الحادة مثل الرثاء والهجاء والكراهية والقسوة الشديدة. أما المجازات والكنايات في شعر الأطفال يجب أن تكون محدودة وقليلة ، ويجب أن تكون متعلقة بالموضوعات التي تدخل في نطاق تجارب الأطفال. ليس المهم تقديم الشعرللأطفال ولكن المهم أن يجعلهم يحسون به ويتذوقونه ويحبونه ويشعرون حين يقرءون ويستمعون شعرا.

ومن أهمّ الأهداف التربوية والاجتماعية الّتي تختصّ بشعر الأطفال : تحقيق المتعة وإثارة البهجة في نفوس الأطفال،إثراء خيال الأطفال وتنمية قدراتهم على الابتكار،تنمية الذوق والحسن الفني والأدبي للأطفال، تثقيف عقول الأطفال وتهذيب نفوسهم، تنمية حب التنغيم والإنشاد، تبصير الأطفال بالقيم الخلقية الفاضلة،تعريف الأطفلل بمجتمعهم ومقومات هذا المجتمع ، تعزيز الوعي الاجتماعي وترسيخ الشعور بالانتماء إلى الوطن والأمة، ترغيب الأطفال في اكتساب المهارات التعليمية عن طريق الإنشاد،إيجاد الاتجاهات الاجتماعية السليمة.

شعر الأطفال في تعزيز القيم الإجتماعية.

القيم الاجتماعية هيالصفات المرغوب فيها من الجماعةمثل التسامح والحق والعدل والأمانة والجرأة والتعاون والإيثاروالقوة والتعاطف والمساواة والمحافظة على البيئة والمرافق

العامة والولاء للوطن وما إلى ذلك من التي تتمثل في المعايير والمثل التي تحدد علاقة الطفل بمجتمعه والتي تؤثر مباشرا أو غير مباشر في مسير المجتمع السويّ، وهي أداة اجتماعية للحفاظ على النظام الاجتماعي والاستقرار بالمجتمع.والجدير بالذكر أنّ شعر الأطفال يلعب دورا واضحا في معالجة هذه القيم المختلفة وغرسها في نفوس الأطفال. «إذا كان علينا أن نتفهم هموم الصغير،ونخاطب أحلامه ،ونجعل أشرعة الحق والخير والعدل والصدق ترسو في قلبه ووجدانه خلال رسم خرائط مشوقة في الأدب،فإنّ في الشعر فنّا أدبيّا خصبا لتوصيل هذه القيم» .[٤]

وقد عالج شعر الأطفال موضوع 'الأسرة' لأنّها هي مجتمع الطفل الصغير يكتسب منها الطفل سلوكه وأخلاقهويتجرب منها أصول التعامل مع المجتمع الكبير.يقول الشاعر إبراهيم أبو طالب على لسان طفل صغير:

«أنا أحبّ أســـرتي أمّي وأبي وإخوتي

فكلهم أحـــــبتي أمنحهم مـــودّتي

لا عيش إلا بينهم كلّ السرور عندهم

أحـــبهم أحبـــهم أمي أبي وإخـــوتي» [٥]

يذكّر الشاعر جمال عمرو الأطفال بأنّ الإصغاء إلى نصائح الكبار يؤدي إلى مستقبل الأمجاد:

«هيّا نغني كلنا يـــا معشر الصغـــــــار

نسعى إلى مستقبل الأمجـــاد والفخـــار

نداعب الشمس التي تغفو على الأشجار

نصغى إلى نصائح الآبـــــــــاء والكبار» [٦]

هنا يحاول الشاعر كامل الكيلاني لتقوية روح التعاون بين الناشئين في قصيدته

بعنوان 'البيت الجديد':

«جمع من الحيـوان قد سعدوا وطاب لهم مقـام
قد رتبوا البيت الجميل وأتقنـوا طبخ الـطعـام
متعاونين على الحيـــاة بكل جـد واهـتـــمام
قد ذللوا كل الصعـــا ب وأدركوا أقصى المرام
وتبـادلـــــوا ودّا بـو دّ وابتســاما باحـــترام
قد أخلصوا وصفت قلوبهم فعـــاشوا في وئام
في كلّ شيء قلّدوا الـــ إنسان إلا من الــكلام» [٧]

وفي هذه الأبيات التالية يشير الشاعر محمد الهراوي أهمية العمل وأثره في بناء النشء والوطن:

«نحن نبنى الأوطـــان نسود بالعرفـــان
رائدنا ذكـــرى الأول طريقنا خير العمل
نصدق في الأقـــوال نجد في الأفعـــال
ولا نضرّ أحـــــدا ولا نغش أبـــدا» [٨]

يؤكّد الشاعر أحمد زرزور قيم الخير والرحمة والإحسان إلى الآخرين بكلمات مؤثرة تحت عنوان' إذ جاء الشتاء':

«ناوليني الصوف يا أمي وهيّا علّميني غزله الآن
لأهديه صـــــــدارا للصغار الفقـــــراء
ودثارا للعرايا في ليـــــــالي البرد والريـــــــح
إذا جاء شتـــــــــــــــــــــــــــــاء» [٩]

يلقي الشاعر أحمد الكاشف بذور التصور بانسان عالمي والشعور بالمساواة في قصيدة تحت عنوان' أحيّى كلّ إنسان':

«أحيي كلّ إنسـان وأرجو الخير للكل

أعـاملهم بإحسان وأعلم أنهم أهـلي

إذا اختلفت مذاهبنا فأم الكلّ حـواء

تجمعنا منـاسبنا وآبـاء أعـزاء» [١٠]

وفي قصيدة تحت عنوان 'ليتني' يفتح الشاعر عثمان راتب آفاق الآمال في المستقبل مع دعوة الأطفال إلى الالتزام بالموقف الإيجابي:

«ليتني أبقى وفيّـا لجميع الأصدقـاء

ليتني أغدو قـويّا فأعين الضعفـاء

ليتنـي أسعد أمّي بالأماني والرجـاء

ليتني كـنت غنيّا فـأعين الفقـراء

ليتني كنت طبيبـا لأواسي ذا البـلاء

ليتني أنصر شعبي وألـبيـه النـداء

ليتني أصبح بـدرا يعتلي عرش السماء

وأضيء الدرب ليلا لـرجـاء الأبريـاء» [١١]

يحث الشاعر نهاد درويش الأطفال في السطور التالية على الزراعة وغرس النبات ومحافظة الأشجار لأنها خير وجمال:

«الشجرة ما أحلى الشجرة أجمل ما في الكون الشجرة

منها الظل ومنها الثمرة الشجرة مـا أحلى الشجرة

لا نؤذيها بل نحميهـا لا نقـطعهـا بـل نبقيهـا

في كل مكان منتشــرة أجمل ما في الكون الشجرة

دوما نغرس دوما نزرع لا نؤذي النبت ولا نــقطع

الشجرة خيروجمـال فــيء وثـمـاروظـلال» [١٢]

يدعو الشاعر د.عارف الشيخ الأطفال إلى محافظة المرافق العامة لأنها فائدة للمجتمع وإتلافها خسران واضح:

«مــدارس هناك حــدائق هنـا

مستشفيات طرق مــرافـق هنـا

إن حفظت فإنها فـــائدة لنــا

أوكسرت وأتلفت فالخسر خسرنا» [١٣]

وفي 'حكاية سمير' يحكي الشاعر سعد بن سعيد الرفاعي قصة طفل يساعد شيخا ضريرا في عبر الشارع.

«يحكى أنّ الطفل سميرا شاهد شيخا يمشي ضريرا

يمشي في الدرب وحيدا بعصـاه يخط لـه سيـرا

كي يعبر دربا مزدوجـا بمروركـم كان خطيـرا

فـرآه سمير متجـها للخطر القادم ليس بصيرا

فجرى في حرص نحـوه كـــــــــي ينقذه يقيه شــرورا

أخذ الأعمى نحو رصيف أوصله غـايته مشـــكورا» [١٤]

الأسلوب التصوري في تأدية القيم

لا شكّ أنّ شعر الأطفال يمتاز بخصائص سواء من ناحية الشكل أو المضمون، والشعراء

في هذا المجال حريصون في اكتشاف الطرق والأسباب للاقتراب من قلوب الأطفال،فاختاروا أساليب متنوعة في تأدية القيم.ومن هذه الأساليب التصورية تقمّص شخصيات الحيوانات والخطاب الشعري على ألسنتهم، وحكايات الحيوانات والطيور،والخطاب على لسان الطفل،والأقاصيص والمسرحيات الشعرية، والسرد والحوار الشعري، والخطاب الشعري المباشر ، واستخدام ضمائر المتكلم التي تفيد شعور الملكية.

ومن المعلوم أنّ شعر الأطفال لا بدّ أن يتحدد تحت مستويين: التعلق بقدرات الطفل اللغوية والتعلق بدرجة الطفل العقلي.وقد اعتبر الشعراء جمال التعبير وسلامة الأداء مع مراعاة اللغة الشعرية والأسلوب المتداولة في شعر الأطفال مثل الاعتماد على التكراروالالتزام بالوزن والإيقاع والارتباط بالمعجم اللغوي والتكوين الانفعالي والعاطفي. والبعض حرصوا في تقديم الموضوعات الشعرية مصحوبة الصور والرسوم لجذب انتباه الأطفال ومساعدتهم للوقوف على المعاني ،كما وضعوا في قالب لغوي بسيط يعتمد على التراكيب اللغوية السهلة ذات الإيقاع.

خاتمة

يعتبرشعر الأطفال كالوسيلة الأولى والأنجح في تثقيف الطفل في جميع جوانب شخصيته لا سيما في غرس القيم الاجتماعية. وقد تبارى الشعراء لغرس الطباع الأخلاقية الراقية، وذلك لنهضة ورقي المجتمع.يقود شعر الأطفال إلى إكساب الأطفال القيم والاتجاهات واللغة وعناصر الثقافة الأخرى،إضافة إلى ما يقوم به من دور معرفي من خلال قدرته على تنمية عمليات الطفل المعرفية، المتمثلة بالتفكيروالتخيل والتذكر.وبوجه عام ،فإنّ شعر الأطفال يسهم في إقناع الأطفال بالآمال الجديدة،لذا فهو أداة في بناء ثقافة الطفل وتنمية الوعي الاجتماعي .

المصادر والمراجع

١. د.محمد السيد حلاوة،الرعاية الثقافية وأدب الأطفال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠١١

٢. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال،سلسلة عالم المعرفة،الكويت ١٩٨٨

٣. د. محمد عبد الرؤوف الشيخ، أدب الأطفال وبناء الشخصية.دار القلم،دبي،٢٠٠٤

٤. د. هيثم يحيى الخواجة، أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق.وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع،الإمارات،٢٠١٤

٥. د. إبراهيم أبو طالب، هيّا نغني يا صغار، دائرة الثقافة والإعلام،حكومة الشارقة ٢٠١٣

٦. جمال عمرو، ديوان نسعى إلى المستقبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٧. دكتور أحمد زلط، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، دار المعارف ١٩٩٤

٨. محمد الهراوي، ديوان محمد الهراوي للأطفال

٩. أحمد زرزور، ديوان ويضحك القمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨

١٠. د.عبد العاتي كيوان، القيم الإنسانية في أدب الأطفال نقلا عن ديوان أحمد الكاشف.مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٣

١١. عثمان راتب، قبس ديوان شعر للأطفال،دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة،٢٠٠٩

١٢. سلسلة العلوم الإسلامية،أناشيد وأشعار المستوى الأول نقلا عن نهاد درويش،دار المنهل ،عمان ٢٠٠٨

١٣. د.عارف الشيخ،أغاريد،٢٠٠٥

١٤. سعد بن سعيد الرفاعي، أناشيد عمر،٢٠٠٩